مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

جامعة حائل
University of Ha'il

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

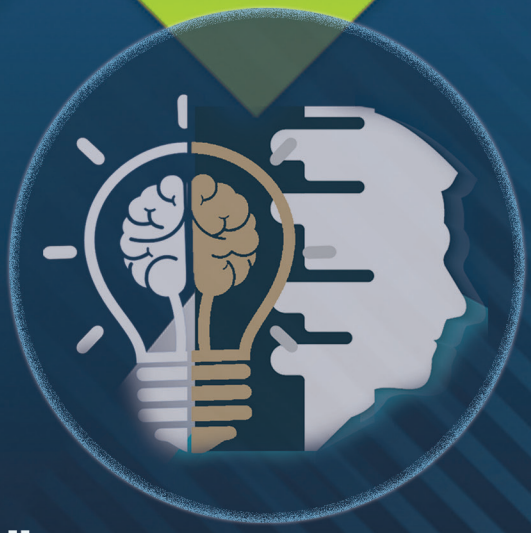

السنة الثامنة، العدد 26
المجلد الثالث، يونيو 2025

Arcif Analytics

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

للتواصل:

مركز النشر العلمي والترجمة

جامعة حائل، صندوق بريد: 2440 الرمز البريدي: 81481

https://uohjh.com/

j.humanities@uoh.edu.sa

ردمد : إلكتروني E-1658-8819 ورقي 1658- 788X رقم الإيداع 14398368

نبذة عن المجلة

تعريف بالمجلة

مجلة العلوم الإنسانية، مجلة دورية علمية محكمة، تصدر عن وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة حائل كل ثلاثة أشهر بصفة دورية، حث تصدر أربة أعداد في كل سنة، وبحسب اكتمال البحوث المجازة للنشر.

وقد نجحت مجلة العلوم الإنسانية في تحقيق معايير اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية معامل " آرسيف Arcif " المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً، وقد أطلق ذلك خلال التقرير السنوي الثامن للمجلات للعام 2023.

رؤية المجلة

التميز في النشر العلمي في العلوم الإنسانية وفقاً لمعايير مهنية عالمية.

رسالة المجلة

نشر البحوث العلمية في التخصصات الإنسانية؛ لخدمة البحث العلمي والمجتمع المحلي والدولي.

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى إيجاد منافذ رصينة؛ لنشر المعرفة العلمية المتخصصة في المجال الإنساني، وتمكن الباحثين –من مختلف بلدان العالم– من نشر أبحاثهم ودراساتهم وإنتاجهم الفكري لمعالجة واقع المشكلات الحياتية، وتأسيس الأطر النظرية والتطبيقية للمعارف الإنسانية في المجالات المتنوعة، وفق ضوابط وشروط ومواصفات علمية دقيقة، تحقيقا للجودة والريادة في نشر البحث العلمي.

قواعد النشر

لغة النشر

1- تقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية.
2- يُكتب عنوان البحث وملخصه باللغة العربية للبحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية.
3- يُكتب عنوان البحث وملخصه ومراجعه باللغة الإنجليزية للبحوث المكتوبة باللغة العربية، على أن تكون ترجمة الملخص إلى اللغة الإنجليزية صحيحة ومتخصصة.

مجالات النشر في المجلة

تهتم مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل بنشر إسهامات الباحثين في مختلف القضايا الإنسانية الاجتماعية والأدبية، إضافة إلى نشر الدراسات والمقالات التي تتوفر فيها الأصول والمعايير العلمية المتعارف عليها دوليًّا، وتقبل الأبحاث المكتوبة باللغة العربية والإنجليزية في مجال اختصاصها، حيث تعنى المجلة بالتخصصات الآتية:

- علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والفلسفة الفكرية العلمية الدقيقة.
- المناهج وطرق التدريس والعلوم التربوية المختلفة.
- الدراسات الإسلامية والشريعة والقانون.
- الآداب: التاريخ والجغرافيا والفنون واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والسياحة والآثار.
- الإدارة والإعلام والاتصال وعلوم الرياضة والحركة.

أوعية نشر المجلة

تصـــدر المجلة ورقيًّا حســـب القواعد والأنظمة المعمول بها في المجلات العلمية المحكمة، كما تُنشـــر البحوث المقبولة بعد تحكيمها إلكترونيًّا لتعم المعرفة العلمية بشكل أوسع في جميع المؤسسات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

ضوابط النشر في مجلة العلوم الإنسانية وإجراءاته

أولاً: شروط النشر

أولاً: شروط النشر

1. أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة المعرفية في التخصص.
2. لم يسبق للباحث نشر بحثه.
3. ألا يكون مستلّاً من رسالة علمية (ماجستير / دكتوراة) أو بحوث سبق نشرها للباحث.
4. أن يلتزم الباحث بالأمانة العلمية.
5. أن تراعى فيه منهجية البحث العلمي وقواعده.
6. عدم مخالفة البحث للضوابط والأحكام والآداب العامة في المملكة العربية السعودية.
7. مراعاة الأمانة العلمية وضوابط التوثيق في النقل والاقتباس.
8. السلامة اللغوية ووضوح الصور والرسومات والجداول إن وجدت، وللمجلة حقها في مراجعة التحرير والتدقيق النحوي.

ثانيًا: قواعد النشر

1. أن يشتمل البحث على: صفحة عنوان البحث، ومستخلص باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدمة، وصلب البحث، وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع باللغتين العربيّة والإنجليزيّة، والملاحق اللازمة (إن وجدت).
2. فـــي حال (نشر البحث) يُزوَّد الباحث بنسخة إلكترونية من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه، ومستلاًّ لبحثه .
3. فـــي حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل– وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
4. لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
5. الآراء الواردة فـــي البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين، ولا تعبر عن رأي مجلة العلوم الإنسانية.
6. النشر في المجلة يتطلب رسوما مالية قدرها (1000 ريال) يتم إيداعها في حساب المجلة، وذلك بعد إشعار الباحث بالقبول الأولي وهي غير مستردة سواء أجيز البحث للنشر أم تم رفضه من قبل المحكمين.

ثالثًا: توثيق البحث

أسلوب التوثيق المعتمد فـــي المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA7)

رابعا: خطوات وإجراءات التقديم

1. يقدم الباحث الرئيس طلبًا للنشر (من خلال منصة الباحثين بعد التسجيل فيها) يتعهد فيه بأن بحثه يتفق مع شروط المجلة، وذلك على النحو الآتي:

أ. البحث الذي تقدمت به لم يسبق نشرة (ورقيا أو إلكترونيا)، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في وجهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشرة في المجلة، أو الاعتذار للباحث لعدم قبول البحث.

ب. البحث الذي تقدمت به ليس مستلا من بحوث أو كتب سبق نشرها أو قدمت للنشر، وليس مستلاً من الرسائل العلمية للماجستير أو الدكتوراة.

ج. الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي.

د. مراعاة منهج البحث العلمي وقواعده.

هـ. الالتزام بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل كما هو في دليل المؤلفين لكتابة البحوث المقدمة للنشر في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل وفق نظام APA7

2. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة في صفحة واحدة حسب النموذج المعتمد للمجلة (نموذج السيرة الذاتية).
3. إرفاق نموذج المراجعة والتدقيق الأولي بعد تعبئته من قبل الباحث.
4. يرسل الباحث أربع نسخ من بحثه إلى المجلة إلكترونيّاً بصيغة (word) نسختين و (PDF) نسختين تكون إحداهما بالصيغتين خالية مما يدل على شخصية الباحث.
5. يتم التقديم إلكترونياً من خلال منصة تقديم الطلب الموجودة على موقع المجلة (منصة الباحثين) بعد التسجيل فيها مع إرفاق كافة المرفقات الواردة في خطوات وإجراءات التقديم أعلاه.
6. تقوم هيئة تحرير المجلة بالفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو الاعتذار عن قبوله أولياً أو بناء على تقارير المحكمين دون إبداء الأسباب وإخطار الباحث بذلك
7. تملك المجلة حق رفض البحث الأولي ما دام غير مكتمل أو غير ملتزم بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية.
8. في حال تقرر أهلية البحث للتحكيم يخطر الباحث بذلك، وعليه دفع الرسوم المالية المقررة للمجلة (1000) ريال غير مستردة من خلال الإيداع على حساب المجلة ورفع الإيصال من خلال منصة التقديم المتاحة على موقع المجلة، وذلك خلال مدة خمس أيام عمل منذ إخطار الباحث بقبول بحثه أوليًا وفي حالة عدم السداد خلال المدة المذكورة يعتبر القبول الأولي ملغي.
9. بعد دفع الرسوم المطلوبة من قبل الباحث خلال المدة المقررة للدفع ورفع سند الإيصال من خلال منصة التقديم، يرسل البحث لمحكّمين اثنين؛ على الأقل.
10. في حال اكتمال تقارير المحكّمين عن البحث؛ يتم إرسال خطاب للباحث يتضمّن إحدى الحالات التّالية:

أ. قبول البحث للنشر مباشرة.

ب. قبول البحث للنّشر؛ بعد التّعديل.

ج. تعديل البحث، ثمّ إعادة تحكيمه.

د. الاعتذار عن قبول البحث ونشره.

11. إذا تطلب الأمر من الباحث القيام ببعض التعديلات على بحثه، فإنه يجب أن يتم ذلك في غضون (أسبوعين من تاريخ الخطاب) من الطلب. فإذا تأخر الباحث عن إجراء التعديلات خلال المدة المحددة، يعتبر ذلك عدولا منه عن النشر، ما لم يقدم عذرا تقبله هيئة تحرير المجلة.
12. في حالة رفض أحد المحكمين للبحث، وقبول المحكم الآخر له وكانت درجته أقل من 70%؛ فإنّه يحق للمجلة الاعتذار عن قبول البحث ونشره دون الحاجة إلى تحويله إلى محكم مرجح، وتكون الرسوم غير مستردة.

13. يقدم الباحث الرئيس (حسب نموذج الرد على المحكمين) تقرير عن تعديل البحث وفقاً للملاحظات الواردة في تقارير المحكمين الإجمالية أو التفصيلية في متن البحث
14. للمجلة الحق في الحذف أو التعديل في الصياغة اللغوية للدراسة بما يتفق مع قواعد النشر، كما يحق للمحررين إجراء بعض التعديلات من أجل التصحيح اللغوي والفني. وإلغاء التكرار، وإيضاح ما يلزم. وكذلك لها الحق في رفض البحث دون إبداء الأسباب.
15. في حالة رفض البحث من قبل المحكمين فإن الرسوم غير مستردة.
16. إذا رفض البحث، ورغب المؤلف في الحصول على ملاحظات المحكمين، فإنه يمكن تزويده بهم، مع الحفاظ على سرية المحكمين. ولا يحق للباحث التقدم من جديد بالبحث نفسه إلى المجلة ولو أجريت عليه جميع التعديلات المطلوبة.
17. لا ترّد البحوث المقدمة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر، ويخطر المؤلف في حالة عدم الموافقة على النشر
18. يحق للمجلة أن ترسل للباحث المقبول بحثه نسخة معتمدة للطباعة للمراجعة والتدقيق، وعليه إنجاز هذه العملية خلال 36 ساعة.
19. لهيئة تحرير المجلة الحق فـــي تحديد أولويات نشر البحوث، وترتيبها فنّياً.

المشرف العـــام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ. د. هيثم بن محمد بن إبراهيم السيف

هـيئـــة الـتحريـــر

رئيس هيئة التحرير

أ. د. بشير بن علي اللويش

أستاذ الخدمة الاجتماعية

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. سالم بن عبيد المطيري

أستاذ الفقه

د. وافي بن فهيد الشمري

أستاذ اللغويات (الإنجليزية) المشارك

أ. د. منى بنت سليمان الذبياني

أستاذ الإدارة التربوية

د. ياسر بن عايد السميري

أستاذ التربية الخاصة المشارك

د. نواف بن عوض الرشيدي

أستاذ تعليم الرياضيات المشارك

د. نوف بنت عبدالله السويداء

استاذ تقنيات تعليم التصاميم والفنون المشارك

د. إبراهيم بن سعيد الشمري

أستاذ النحو والصرف المشارك

محمد بن ناصر اللحيدان

سكرتير التحرير

الهيئة الاستشارية

أ.د فهد بن سليمان الشايع

جامعة الملك سعود – مناهج وطرق تدريس

Dr. Nasser Mansour
University of Exeter. UK – Education

أ.د محمد بن مترك القحطاني

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – علم النفس

أ.د علي مهدي كاظم

جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان – قياس وتقويم

أ.د ناصر بن سعد العجمي

جامعة الملك سعود – التقييم والتشخيص السلوكي

أ.د حمود بن فهد القشعان

جامعة الكويت – الخدمة الاجتماعية

Prof. Medhat H. Rahim
Lakehead University - CANADA
Faculty of Education

أ.د رقية طه جابر العلواني

جامعة البحرين – الدراسات الإسلامية

أ.د سعيد يقطين

جامعة محمد الخامس – سرديات اللغة العربية

Prof. François Villeneuve
University of Paris 1 Panthéon Sorbonne
Professor of archaeology

أ. د سعد بن عبد الرحمن البازعي

جامعة الملك سعود – الأدب الإنجليزي

أ.د محمد شحات الخطيب

جامعة طيبة – فلسفة التربية

الأثر البلاغي في نفس المتلقي: دراسة على قصة الفداء

The rhetorical effect on the recipient›s soul: a study of the story of redemption

د.جوزاء بنت مفلح ضيغم البجيدي العنزي
أستاذ البلاغة والنقد المشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون جامعة حائل، المملكة العربية السعودية.
https://orcid.org/0009-0000-2434-2716

Dr. Jawza bint Muflih Dhaigham Al-Bujaidi Al-Anzi
Associate Professor of Rhetoric and Criticism, Department of Arabic Language,
College of Arts and Humanities, University of Hail, Kingdom of Saudi Arabia.

(تاريخ الاستلام: 2025/04/13، تاريخ القبول: 2025/05/30، تاريخ النشر: 2025/06/15)

المستخلص

يهدف البحث إلى دراسة الآليات البلاغية وأثرها النفسي في قصة الفداء الواردة في سورة الصافات، وما تقوم به من تشكيل الأثر النفسي لدى المتلقي، والخطاب القرآني له وحدة دلالية كبرى متكاملة تنتمي إليها وحدات صغرى تطول حينًا وتقصر حينًا وفقا لموضوعاتها. وهو ينقل المتلقي من المعرفة الجمالية إلى المعرفة العقلية القائمة على أساس نفسي. ويقوم البحث على المنهج الوصفي المعتمد على التحليل والاستنباط؛ بغية الوصول إلى الدور البلاغي في تحقيق الأثر النفسي عند المتلقي. وقد توصل البحث إلى عدة نتائج، ومنها: أن العطف بالفاء في سورة الصافات أدى دورًا بارزًا في تصوير الانتقالات السريعة، والتعبير عن سرعة الاستجابة من نبي الله لأمر ربه. شكّل الحوار في قصة الفداء محورًا مركزيًا أظهر البعد النفسي للموقف في كلمات موجزة غنية بالمعاني. كان للآليات البلاغية حضورًا خاصًا في القصة نقلت المتلقي وجذبته إلى جوها النفسي. ويوصي البحث بدراسة البلاغة النفسية في القرآن الكريم من خلال القصص القرآني.

الكلمات المفتاحية: الآليات البلاغية، الأثر النفسي، المتلقي، الفداء، الرؤيا.

Abstract

The research aims to study the rhetorical mechanisms and their psychological impact on the story of redemption mentioned in Surat Al-Saffat, and what they do in shaping the psychological impact on the recipient. The Qur'anic discourse has a large, integrated semantic unit to which belong smaller units that are sometimes longer and sometimes shorter according to their topics. It transfers the recipient from aesthetic knowledge to mental knowledge based on psychological foundations.The research is based on the descriptive approach based on analysis and deduction as its starting point. In order to achieve the rhetorical role in achieving the psychological impact on the recipient. The research reached several results, including: that the conjunction with the fa in Surat Al-Saffat played a prominent role in depicting quick transitions and expressing the quick response of the Prophet of God to the command of his Lord. The dialogue in the story of redemption formed a central axis that showed the psychological dimension of the situation in concise words rich in meaning. The rhetorical mechanisms had a special presence in the story that transported the recipient and attracted him to its psychological atmosphere. The research recommends studying psychological rhetoric in the Holy Qur'an through Quranic stories.

Keywords: Rhetorical mechanisms, psychological impact, recipient, redemption, vision.

للاستشهاد: العنزي، جوزاء بنت مفلح ضيغم. (2025). الأثر البلاغي في نفس المتلقي: دراسة على قصة الفداء. *مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل*، 03 (26) ، ص171 – ص182.

التمويل: لا يوجد تمويل لهذا البحث

Funding: There is no funding for this research

مقدمة:

تمثِّل القصة جزءًا كبيرًا من الخطاب القرآني، وتُعَدُّ ركيزة من ركائز الدعوة، وهي تقوم على الإقناع العقلي، فترسم منهجًا قويمًا للمؤمن، وتهذّب نفسه، وتبعث فيها الاطمئنان، وتعرض مشاهد حية نابضة وكأنه يراها بعينه وقلبه، فتؤثِّر في نفسه، وتعلّمه المبادئ والعقيدة الصحيحة؛ لذلك لاقت القصة اهتمامًا كبيرًا من المفسرين، والعلماء، والباحثين قديمًا، وحديثًا.

وتعد قصة الفداء الواردة في سورة الصافات نموذجا عمليا للاستلام لأمر الله تعالى من خلال نبيين كريمين: إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وأنبياء الله قدوة البشرية، وبهم يقتدي المؤمن الصالح، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [سورة الأنعام: 90]. وانطلاقًا من أهمية الأثر الذي تتركه القصة القرآنية على القارئ للقرآن الكريم، جاءت فكرة هذا البحث بغرض الكشف عن الآليات البلاغية في قصة الفداء في سورة الصافات، وما تقوم به من تشكيل الأثر النفسي عند المؤمن.

أهمية البحث:

يهدف البحث إلى استكناه الأدوات البلاغية التي شكّلت الأثر النفسي عند قراءة آيات قصة الفداء في سورة الصافات أو سماعه، والكشف عن ملامح التأثير النفسي للبيان القرآني المعجز ببلاغته، وسبر أغوار الأدوات المكوِّنة لقصة الفداء، وأحداثها ولغتها.

الدراسات السابقة

يوجد عدد من الدراسات ومنها:

دراسة خضير وزيدان (2023) القصة القرآنية ومناسبتها للوحدة الموضوعية في السورة: قصة الفداء في سورة الصافات أنموذجًا، وقد تناولت قصة الفداء من ناحية التفسير الموضوعي، وهي تختلف في التناول عن دراستي التي تقف على آليات الأثر النفسي من الوجهة البلاغية.

دراسة الدبو (2013) التأثير البلاغي في تشكيل الصورة النفسية عند المتلقي: قصة السيدة مريم العذراء في سورة مريم أنموذجًا، وهي دراسة ضمن قراءات في نظرية القراءة والتلقي دراسة في النص القرآني، وقد تلاقت هذه الدراسة مع بحثي في المنهج، مع اختلاف المدونة والتحليل.

منهج البحث:

سيتبع البحث المنهج الوصفي المعتمد على آليات التحليل والاستنباط، والإفادة من المنهج النفسي في الوصول إلى الدور البلاغي في تحقيق الأثر النفسي عند المتلقي؛ وذلك من خلال قراءة قصة الفداء.

أهداف البحث:

ومن أهم الأهداف هذا البحث:

- إبراز وظائف الآليات البلاغية في إحداث الأثر النفسي والانفعال الوجداني.
- بيان ملاءمة المفردة القرآنية للمعنى ودقتها، وتحقيقها الأثر النفسي عند المتلقي.
- الكشف عن ارتباط الأساليب البلاغية بالنفس ارتباطًا عضويًا.
- بيان دور الانسجام في إحداث الأثر النفسي عند المتلقي.

خطة البحث:

يقوم البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وفق تقسيم مشاهد القصة:

المقدمة: وفيها تعريف بموضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وخطته. التمهيد: وفيه بيان لعلاقة البلاغة بالأثر النفسي عند متلقي القرآن الكريم.

المبحث الأول: هجرة سيدنا إبراهيم–عليه السلام– لله. المبحث الثاني: الرؤيا. المبحث الثالث: الفداء.

ثم الخاتمة وفيها رصد لأبرز النتائج التي توصل إليها البحث ثم ثبت للمراجع.

التمهيد:

البلاغة والأثر النفسي لدى متلقي الخطاب القرآني

عني البلاغيون والنقّاد في تراثنا النقدي بأطراف العملية الإبداعية الثلاثة: المبدع، والنص، والمتلقي، والعلاقة بينهم، وقد كتب الكثير حول العلاقة القوية التي تربط المبدع والمتلقي، وما يجب أن تتميز به من إقناع وتأثير وتفاعل وتشارك، وتركوا مؤلَّفات بيّنوا فيها أبعاد الأدب الجمالية، وأسرار البيان القرآني، وفي البلاغة العربية نجد المخاطِب والمخاطَب والخطاب الأدبي، في مقام أو ظرف معين، متبعا نظام بياني خاص هو البيان العربي، وسجلت كتب النقد ملاحظات المتلقي المباشر، ورده على المبدع في وقت الحدث الإبداعي.

وقد لقي المبدع لديهم اهتمامًا، كما أن المتلقي نال هذا الاهتمام، والذي عُرِف عندهم بالسامع والمخاطب، بل إن المتلقي لقي اهتمامًا أكبر؛ لأن النص يُكتَب من أجله وإليه يتوجه، ويقصد به إقناعه والتأثير فيه وإفهامه، فـ «مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، (الجاحظ، 1968، ص.28)؛ لذلك نال المتلقي أو المخاطب في التراث النقدي أهمية كبرى حيث نجد عناية البلاغيين تظهر من خلال مراعاة المتكلم لأحوال المستمعين، وما يجب لكل مقام من مقال، فالمتكلم يصوغ خطابه وفقًا لأحوال السامع ومدى معرفته أو مستوى ثقافته، وهذه العلاقة المنظَّمة بينهما تقود إلى الكشف عن المعاني وعن مقاصد المتكلمين، فالمتلقي يعد شريكا للمبدع يتقاسم معه المسؤولية، وكلما

كان المخاطَب على وعي بالنص وبظروف إنتاجه كان ذلك أدعى لتفسيره، والوقوف على مقاصده.

والنص يخضع لمناسبات القول وللعلاقة بين المتكلم والمخاطب، ولا يتم التفاهم في أية لغة إلا إذا روعيت تلك المناسبات، وأخذت العلاقة بين أصحابها بنظر الاعتبار، ولن يكون الكلام مفيدًا ولا الخبر مؤديًا غرضه ما لم يكن حال المخاطب ملحوظًا؛ ليقع الكلام في نفس المخاطب موقع الاكتفاء والقبول (المخزومي، 1980، ص. 225)؛ لذلك اهتم القدامى من البلاغيين والنحويين بمفاهيم مراعاة المتكلم والسامع ومقتضى الحال والسياق، وكل ما يتعلّق بالنص سواء كان تاريخيًا أم نفسيًا أم اجتماعيًا، فكل هذه العوامل تجعل النص مؤثّرًا وحيًّا في النفس البشرية.

يقول هانز روبرت ياوس (Hans Robert Jauss): «ذلك أن قيمة عمل ما ومرتبته لا تستنبطان من الظروف البيوغرافيّة أو التاريخية لنشأته، ولا من موقعه فحسب ضمن تطور الجنس الذي ينتمي إليه، بل من معايير أدق من ذلك، وهي وقع هذا العمل وتلقيه وتأثيره وقيمته التي تعترف له بها الأجيال القادمة (2016، ص.25). وتلقي النص يتطلب التوافق بين لحظة استقبال المخاطب لنص الخطاب ولحظة فهمه لمعناه، وبهذا التوافق ينتقل أثر الخطاب إلى المتلقي، محدثًا اتحادًا بين إشعاع هذا الخطاب والحالة الذّهنية للمتلقّي له؛ لينتقل هذا الأخير بعد ذلك إلى مستوى تفعيل معنى هذا الخطاب؛ أي: العمل به، ومنه إلى مستوى الإبلاغ (ياوس، 2016، ص.408).

والبلاغة في العربية وظيفتها الأساسية هي الإبلاغ، وإحداث التواصل بكل ما تتضمنه هذه الوظيفة من طرق الأداء وتنوع الأساليب ومراعاة سياق الكلام، فهي تعبير عن قدرة المبدع على إيصال ما يريده، وتحقيق هدفه من خلال التواصل مع المتلقي، وإحداث الأثر المطلوب، والبلاغة تعني: كل ما تبلغ به قلب السامع، فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن (العسكري، 1980، ص.19). ففكرة مراعاة مقتضى الحال هي عمود البلاغة، وفيها يحشد المتكلم كل طاقاته التعبيرية وقدراته في إثارة مكامن المتلقي العقلية والوجدانية والنفسية بغرض الوصول إلى الهدف الرئيس من الخطاب، بدءًا من اختيار اللفظة المناسبة وطرق صياغة النص وأسرار التراكيب، وكل المعايير البلاغية المعروفة التي وُضِعت لبناء النص.

والبلاغة من أهم وسائل التأثير في نفوس المتلقين، حيث تنقل المتلقي ليعايش الحدث بتفاصيله وما فيه من ألم ومعاناة أو فرح وفرج فيتأثر بما يتلقّى، وعليها يعتمد المبدع عند صياغة النص وإحداث التفاعل بينه وبين المتلقين، فهي «الملكة التي يُؤثّر بها صاحبها في عقول الناس وقلوبهم عن طريق الكتابة أو الكلام، فالتأثير في العقول عمل الموهبة المعلمة المفسّرة، والتأثير في القلوب عمل الموهبة الجاذبة المؤثّرة، ومن هاتين الموهبتين تنشأ موهبة الإقناع على أكمل صورة. وتحليل ذلك أن بلاغة الكلام هي تأثير نفس في نفس، وفكر في فكر» (الزيات، 1967، ص.35).

وللأثر النفسي الذي يُحدثه الخطاب في المتلقي خصوصية معينة، فبقاء النص عبر العصور محافظًا على مكانته مرهون بما يُحدثه من أثر على نفوس المتلقين، فالمتلقي إذا واجه نصًا يُحدث ذلك الأثر في نفسه، سواء كان لذة أو هزة أو متعة تعلق فيه وأمسك به، محاولًا الكشف عن المزيد من ذلك الأثر، فلولا ذلك لما بقيت تلك النصوص التي تولّد القراءات المتعددة، فالنص الذي سرعان ما يخفت تأثيره على النفس يفقد الدافع لقراءات متجدّدة حوله.

فالأثر النفسي يعدُّ «الفارق الذي يُفرّق به بين الأدب ومستويات الكلام الأخرى، فبمقدار تأثير الأدب وغيره من ضروب الكلام في مستوى متقارب يخفت فيه الإبداع ويقل وهجه» (بانقيب، 2002، ص.12)، وكيفية تلقي النص وأثر النصوص في نفوس متلقيها هو جوهر القضايا النقدية بل هو جوهر الأدب (مبارك، 1999، ص13)؛ لذلك يعدُّ العامل النفسي حاسمًا في إحداث التفاعل بين أطراف التخاطب وفي النصوص العربية الرفيعة، ما يوضح حجم العناية بالمستقبل ومستواها (مبارك، ص.65)، وهو ما جعله يحظى بأهمية كبرى لدى النقّاد والبلاغيين، :» فأنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكنّى، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعمّا تعلم بالفكر إلى ما تعلم بالاضطرار والطبع» (الجرجاني، 1991، ص.121)، وذكر حازم القرطاجني الأثر النفسي عند المتلقي، «فالكلام يكون أكثر قبولًا، ويزداد حسنًا لدى المتلقي بالمراوحة بين بعض فنونه، والافتنان في مذاهبه وطرقه، فيزداد حب النفس لما يرد عليها من ذلك إذا كانت زيادته غبًا» (القرطاجني، 1966، ص.302).

والأثر الذي يتركه النص في نفس المتلقي هو الذي يحدد قيمة هذا النص وخلوده، ولكل نص استراتيجية في الحضور والتفاعل داخل النص، تعتمد على ما يبثُّ فيه من أسلوب لغوي بلاغي وسياق مُسبك مُنسجم بين المفردات، والذي يوقع في نهاية المطاف غاية التأثير النفسي، ويحقق الوصول إلى شفرات النص المعرفية والفكرية والتأويلية (الهاشمي، 2016، ص.16). أما فيما يخص الخطاب القرآني فهو خطاب تبليغي موجّه للبشرية جمعاء، لا يتحيز لمكان معين أو أمة بعينها، إنما هو خطاب عالمي، يمتد عبر الأزمان والأماكن، جاء ليناسب أنماطًا متعددة من المتلقين له؛ فقد «منح القرآن الكريم متلقيه مساحة كبيرة من الحرية في اكتشاف دلالة ألفاظه، واستجلاء معانيه المتجددة، والتي منحت معها حرية أوسع في إحداث لذة الاكتشاف من قبل المتلقي، الذي كلما تمعَّن فيها أضفى عليها جدّة وديمومة؛ لأن معانيها ممتدة إلى غير نفاد»(عاشور، 2015، ص189). وعلينا أن نوقن أن لمتلقي الخطاب القرآني الكريم خصائص مختلفة عن متلقي النصوص البشرية أيًا كانت مكانتها، فلا بد أن تكون له مواصفات واستعداد نفسي خاص، تناسب قداسة الخطاب القرآني، فيكون متزودًا بأدوات، يستطيع من خلالها تدّبر هذا الخطاب؛ لأن «كتاب الله

بحره عميقٌ، وفَهْمُه دقيقٌ، لا يصل إلى فهمه إلَّا من تبَحَّرَ في العُلوم، وَعَامَلَ اللَّهَ بتقواه في السِّرِّ والعلانية، وَأَجَلّه عندَ مواقفَ الشُّبهات واللطائف والحقائق...» (الزركشي، 1957، ص.153)، كما أن المتلقي لا يتمكّن من النظر والتدّبر وفهم معاني الوحي حقيقةً، ولا يظهر له أسرار العِلمِ من غيبِ المعرفةِ وفي قلبِهِ بِدعةٌ أو إصرارٌ على ذنبٍ، أو في قلبِهِ كِبرٌ أو هوًى أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقِّقٍ الإيمانِ (الزركشي، 1957، ص.180).

أما بالنسبة لأثر القرآن في النفس البشرية فهو أمر باين متحقق من مجرد سماعه يُتلَى، ولا غرابة في ذلك بما أن القرآن قد بلغ شأوًا عظيمًا في الفصاحة والبلاغة، فاق به ألسنة البشر، وبان عنها بونًا شاسعًا، فلا بد أن تكون له هذه القوة التأثيرية على النفوس (بانقيب، 2002، ص.30)، وذكر الخطابي وجهًا آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وهو صنيعة القرآن بالقلوب وتأثيره في النفوس, فإنك لا تسمع كلامًا غير القرآن منظومًا ولا منثورًا، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه, تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظَّها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب, يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها (الخطابي، د- ت، ص70). وهذا لعمري كلام نفيس، وملح فريد، وهو سائر في جملة القرآن الكريم.

فالبيان القرآني الكريم بترابط ألفاظه، وانسجام تراكيبه، وسبك مبانيه، وروعة صوره كفيلة بأن تنقل المتلقي إلى جوها النفسي، وكأنه في الزمان والمكان نفسيهما وله في نظمه طريقة نفسية في الطريقة اللسانية، وأدار المعاني على سنن ووجوه الألفاظ كأنها هذه المعاني في النفس» (بركة، 1989، ص.261). وألفاظه تشعُّ دلالة على الأنفس والآفاق، فكثير منها لا تنقضي دلالته بمجرد الكلام على ظاهر المعنى؛ فيجد طالبه نفسه مدفوعًا إلى ملاحقة المعنى إلى باطن اللفظ وعميق أحشائه، فيكون هاجس المعنى هاجسًا (سحريًّا) بعد أن كان ذهنيًّا لا يجعل صاحبه يقنع بما يمسكه من أطرافه، بل يحضُّه على جوهره (العارضي، 2016، ص.53). فالمتلقي عندما يجد ذلك الأثر النفسي الذي يشعر به عندما يسمع أو يقرأ القرآن، يبحث أن الأسباب الكامنة وراء هذا الأثر، حيث «لا بد لكل كلام تستحسنه ولفظ تستجيده، من أن يكون لاستحسانك جهة معلومة وعلة معقولة، وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذاك سبيل، وعلى صحة ما ادعيناه سبيل» (الجرجاني، 1992، ص.37)، ومن أبرز الأدوات والوسائل التي لها أثرها في المتلقي، وتحدث فيه أثرا نفسيا الأدوات البلاغية.

والقصة القرآنية تحمل بين طياتها الجوانب النفسية في أحداثها وشخصياتها، فللقصص القرآني تميُّز «بربانيته ودقته وشموليته» (الجيوسي، 2007، ص.476)، كما أن لقصص القرآني أثر بالغ في توجيه السلوك ومنشؤه شعور انفاعلي دافع، أو عامل وجداني مؤثر. (نقرة، 1971، ص.460)، ومن تلك القصص قصص الأنبياء صفوة خلق الله التي اشتملت على الدروس العظيمة والعبر القيمة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 11]. وقد جاءت البلاغة بأدواتها المختلفة ووسائلها الدقيقة ناقلة لنا هذه الدروس، من خلال ذلك الأثر الذي تحدثه في نفس المتلقّي، فالعلاقة بين البلاغة والنفس علاقة متينة، فالبلاغة هي: «إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ» (الرماني، 1976، ص.75)؛ لما للكلام البليغ من أثر في النفس، قال تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: 63]، فالإعجاز البلاغي مرتبط بالإعجاز النفسي ارتباطًا وثيقًا، وبدأ جليًا في كتاب الله، وهذا بديهي؛ لمكانة البيان القرآني وتربعه على عرش البلاغة. ولا شك أن للقصة دورًا كبيرًا في التأثير على نفس المتلقي؛ إذ لا تنتهي القصة إلا ويكون قد عاش في تجربة نفسية خلال القصة، فتركت في نفسه أثرًا نفسيًا وروحيًا غيّر كثيرًا من مفاهيمه للحياة، متجلية في تصرفاته وقناعته. ومن أبرز القصص التي تركت أثرًا في نفس متلقي القرآن رغم قصرها قصة الفداء في سورة الصافات المكية، والتي كان موضوعها الجوهري هو إثبات وحدانية الله وتنزيهه عن الشرك، وبناء عقيدة المسلم الصافية، وقصة الفداء من أبرز القصص التي وردت في السورة، وارتبطت مع موضوعها العام، فهزت النفس وكانت مثلًا قويًا وعميقًا للإخلاص لله.

وسنقف على دور الأدوات البلاغية التي تآزرت في رسم الصورة النفسية، وكيف تجلّى المشهد المؤثّر بين الأب وابنه في أصعب ابتلاء يمرّ على الإنسان، وكيف استقبلا هذا الابتلاء طائعين مستسلمين ضاربين مثلًا في تاريخ البشرية.

المبحث الأول: هجرة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لله»

قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ. رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الصافات: 99-100]. بعد أن نصر الله خليله ونبيه إبراهيم –عليه السلام– وأنجاه من كيد قومه الكافرين، حيث جعل النار التي ألقوه فيها بردًا وسلامًا عليه، فعملت على غير عادتها، وظهرت معجزة الله أمامهم فخابوا وخسروا، ومع ذلك لم يؤمنوا رغم مشاهدة معجزة الله أمام أعينهم؛ لذلك عزم إبراهيم –عليه السلام– على الهجرة عن بلده؛ ليعبد ربَّه بعيدًا عنهم، فقال: «معلنًا هجرته من بلدهم إلى بلد الشام، وإنما قال ذلك لأنهم بلغوا من العناد مبلغا كبيرا، فإن قومًا أضرموا النار ليحرقوا بها داعيهم إلى الله قوم لا يُرجَى فيهم خير» (العثيمين، 2003، ص.221)، ولهذا قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: 99]، «فأظهر بذلك توكله وتفويضه أمره إلى الله» (الزمخشري، 1998، ج5، ص. 220)، إذا «جعل الذهاب إلى المكان الذي أمره ربه بالذهاب إليه ذهابا إليه» (الخفاجي، 1417، ج7، ص. 277) ، وهنا يبين أن الهدف من ذهابه عبادة الله وليس المكان بعينه. وقد جاءت واو العطف دون غيرها؛ للترابط بالآية السابقة؛ ليستشعر سبب هذا

القرار من نبي الله إبراهيم –عليه السلام–، والسبب الذي جعله يصمِّم على الخروج من بلده وديار وأهله، فقرار الهجرة لم يكن هينًا عليه، لكن المتلقِّي الذي يعيش الأحداث مع النبي –عليه السلام–، ويستشعر الخيبة وفقد الأمل من قومه الذين طغوا وتجبّروا؛ يدرك الإحساس والانطباع الذي جسَّده حرف التوكيد (إن) التي تفيد تقوية المؤكد وتمكينه في ذهن السامع وقلبه، والذي دل على تصميم نبي الله على الهجرة عن قومه، وجاء اسم الفاعل «ذاهب» ليدل على ثباته في موقفه دون تراجع أو حتى تردد.

فحرف الواو في قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ [سورة الصافات: 99] عاطفة رابطة المعنى منسجمة مع ما قبلها وما بعدها، جعلت المتلقي في حالة ترقُّب لموقف النبي –عليه السلام– بعد موقف قومه منه، والذين استخدموا معه منطق القوة والتجبر، ولم يرحموه فبنوا له نارًا عظيمة، وهذا ما دلّ عليه قوله: ﴿فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ﴾، وما تحمله هذه الجملة من قيمة دلالية، تشعر المتلقِّي بمدى الحقد والتجبُّر الذي يملأ النفوس، فتشكِّل لديه الأثر النفسي وهو يتأمَّل من خلال هذا الترابط الانسجام بين الكلمات وما تحمل فيها كل مفردة من زخم دلاليٍّ ينقل للمتلقي المعنى، فيؤثِّر على نفسه، ويحرك مشاعره، فألفاظ القرآن وجمله المترابطة والمنسجة «كفيلة بأن تنقل القارئ إلى الجو النفسي الذي قيلت فيه تلك الألفاظ على الرغم من تباعد الزمان واختلاف الظروف والأحوال، ولا يشعر القارئ بفجوة نفسية، بل إنه ليشعر بأنه يعيش تلك الأجواء بالعواطف والانفعالات التي عاشها من عناصر الحدث « (السامرائي، 2015، ص.142). وقد أحدث الله معجزته، فقلب من أجل نبيه الصادق الثابت موازين الكون، فتغلل اليقين في نفسه، وهذا ما نراه في قوله: ﴿سَيَهْدِينِ﴾، فإبراهيم ـ عليه السلام ـ متيقّن بأن ربي سيهديه إلى مكان الصلاح والهداية، وجاءت السين لتأكيد الوقوع بالمستقبل، وهي مقابلة لن المؤكد للنفي (الألوسي، 2001، ج12، ص.221)، فشكّلت الجملة بطاقاتها التعبيرية الأثر لدى المتلقي الذي رسم صورة في نفسه عن النبي الواثق من ربّه، الذي ترك كل شيء وراءه متوجهًا بجسده وقلبه وروحه إلى ربه يعبده بعيدًا عن الفتن، إنها غاية الاستسلام لله والتوكُّل عليه. فهذه الجملة الجامعة الوجيزة بكلماتها القليلة، استوعبت الحالة النفسية والذهنية لنبي الله، فاستقطبت المتلقِّي ليتفاعل مع هذا الموقف الذي يمثِّل مرحلة مهمة وحاسمة، وبعبارة أخرى يمكننا القول: إنه مشهد نفسي مكثّف، منسجم مع مبدأ الرسالة، فإبراهيم –عليه السلام– لم يلجأ إلى هذ القرار إلا بعد دعاهم كثيرا. وكما يلمس المتلقي من عبارة: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ شخصية إبراهيم الواثقة بربّها، فما قال إلا «لفرط توكّله أو للبناء على عادته (العمادي، د– ت، ج7، ص.199). ودلت ألفاظ: الهدى، الهبة، سيهدين على الأثر النفسي لدى المتلقين، وهي تعطي الانصياع الكامل لرب العالمين بلا تفكر.

وجاء الالتفات من أسلوب الغيبة إلى أسلوب الخطاب في قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، ولا شك من أن الالتفات تقنية، تقوم بمهمة نفسية، تجذب انتباه المتلقِّي لما سيأتي من الكلام، فإن «الكلام إذا نُقِل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد» (الزمخشري، 1998، ج1، ص. 120).

فالالتفات هنا أشعر المتلقي بحال النبي إبراهيم –عليه السلام– في تلك اللحظة التي قرر فيها الهجرة بأن لا ولد له يؤنس وحدته ويعوّضه عن الأهل والأصحاب والوطن ويعينه على الدعوة، فتوجّه لربّه بالدعاء: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وبهذا اتسم أسلوب الالتفات بالقدرة على تبئير المعنى؛ فهو منبّه أسلوبي، يؤشر على تغيُّر الغرض في الخطاب، كما يمكن تركيز معناه، ولأسلوب الالتفات أيضًا القدرة على جعل الخطاب متعدد الدلالات؛ وذلك تبعًا لطبيعة قائله، والمرجع الذي تعود إليه ضمائره، والقراءة القرآنية التي تتيحه (ذاكير، 2021، ص.67). فالالتفات الحاصل من الغيبة إلى الخطاب أغنى عن الإطناب وبيّن المعنى، فولّد إيجازًا دالًا على توجّه إبراهيم –عليه السلام– بقلبه وجسده إلى الله، كما أنه ارتقى إلى صيغة الخطاب، فوجّه كلامه إلى الله، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، فأوحى هذا الدعاء للمتلقي بأن إبراهيم «استشعر قلة أهله وعقم امرأته، وثار ذلك الخاطر في نفسه عند إزماع الرحيل؛ لأن الشعور بقلة الأهل عند مفارقة الأوطان يكون أقوى؛ لأن المرء إذا كان بين قومه كان له بعض السلو بوجود قرابته وأصدقائه» (ابن عاشور، 1984، ج23، ص.148).

وحذف ياء النداء في قوله: ﴿رَبِّ﴾ يشعر بمدى قرب إبراهيم من ربّه، فالله قريب منه يسمعه حين يناديه بدون واسطة، وحذف الأداة يوحي بشدة القرب من نبيه حتى وكأن الياء واسطة، فحذفت مبالغة في تبيين القرب منه، فحذفُ الأداة أفاد الصلة بين المنادى والمنادِي، كما أن حذف النداء فيه تعظيم وتنزيه لله عز وجل؛ فالنداء فِيهِ طرف من معنى الأمر؛ لِأنك إِذا قلت: يا زيد، فمعناه: تعال يا زيد، أدعُوك يا زيد، فحذفت يا من نِداء الرب؛ ليزول معنى الأمر وينقص؛ لِأن (يا) تؤكده وتظهر معناهُ، وكان فِي حذف ياء التعظِيم والإجلال والتنزيه للربّ، فكثر حذفها فِي القُرآن والكلام فِي نِداء الرب لذلِك المعنى (القيسي، 1405، ج1، ص. 285).

وجاء الدعاء بلفظ ﴿هَبْ﴾؛ لما فيها من إحسان محض، ليس في مقابلها شيء يكون عوضًا للواهب، وهنا حذف وتقديره: هب لي ولدًا صالحًا من الصالحين؛ إذ إن لفظ الهبة غلب على الولد (أبو حيان، 2002، ج7، ص. 491). والحذف يعدُّ منبهًا أسلوبيًا للمتلقي، فيعمل على تجديد نشاطه وإعمال فكره واختبار فطانته، فتجعله يتفاعل مع الخطاب من خلال تقدير المحذوف والتقاط السر الذي يكمن وراء هذا الحذف. فتقدير المحذوف في البيان القرآني تقديرًا حسنًا مبني على دليل، يعدُّ براعة وفطانة من المتلقِّي، الذي فهم المقصود فهمًا صحيحًا، وأدرك السر الخفي وراء هذا الحذف. وقد جاء الطلب بأن يكون الولد صالحًا مِنَ الصَّالِحِينَ؛ ونعمة الولدِ تكُونُ أكمل إذا كان صالِحًا؛ فإن صلاح الأبناءِ قُرةُ عينٍ لِلآباءِ، ومن صلاحِهِم برّهم بوالديهم على الدوام (ابن عاشور، 1984، ج23، ص.148). ولوحظ وجازة جملة الدعاء التي ساهمت في رسم

الصورة النفسية للنبي الكريم، فلمس القارئ تلهفه إلى تحقيق ما يدعو به، فالتخفيف في الجمل يوحي بالإيجاز والتلطف والتقرب.

وصورت الجملة ثقة المتكلم بربه وتغلل اليقين في نفسه، كما قامت الآليات البلاغية في نقل الإحساس والضغط النفسي الذي يمر به نبي الله في تلك اللحظة. فاستجاب الله له فبشَّره بما تمنّاه ولدًا صالحًا ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ: 101﴾، و»الفاء» هنا هي فاء التعقيب للبشرى باستجابة الدعاء، فمن دلالات الفاء النفاذ بقوة، ودلالة على سرعة استجابة الله لإبراهيم بما طلب، و» أن ما بشّر به عين ما استوهبه» (الألوسي، 2001، ج12، ص.223). «فالتعقِيبُ على ظاهِرِهِ وإن كان اللهُ بشَّرهُ بِغُلامٍ بعد ذلِك حِين حملت مِنهُ هاجرُ جاريتهُ بعد خُرُوجِهِ بِمُدةٍ طوِيلةٍ، فالتعقِيبُ نِسبِيٌّ، أي: بشرناهُ حِين قدرنا ذلِك أول بِشارةٍ بِغُلامٍ فصار التعقِيبُ آتِيًا إلى الـمُبادرةِ كما يُقالُ: تزوج فوُلِد لهُ، وعلى الِاحتِمالينِ فالغُلامُ الذِي بُشِّر بِهِ هُو الولدُ الأولُ الذِي وُلِد لهُ وهُو إسماعِيلُ» (ابن عاشور، 1984، ج23، ص.148).

وبعدما التعايش مع حال نبي الله إبراهيم –عليه السلام– نجده وكأنه يشاهد وقع البشرى على إبراهيم في تلك اللحظة التي شعر فيها بالغربة في بلده، وحاجته لهذا الولد الذي وصفه ربّ العزة والجلال بالحلم، فنلمس الفرح بالبشرى وسرعة استجابة الله لنبيه المخلص، فالرد جاء سريعاً لاغيا كل المسافات الزمنية التي تصور برهة من تأخر الإجابة.

المبحث الثاني: «مشهد الرؤيا»

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. جاء العطف بالفاء الفصيحة، وقد وُصِفت هذه الفاء بالفصاحة؛ لإفصاحها عن الجملة المقدرة قبلها ودلالاتها عليها، وطوت أحداثًا قبل حدث السعي، فالفاء نقلت المتلقّي من مشهد إلى مشهد آخر دون أن يشعر، فخفتها وهمسها الرقيق وسهولة خروجها حملته إلى حدث جديد معطوفًا على الحدث الأول، وقد طوت زمنًا وتجاوزت أحداثًا فوجد المتلقّي نفسه في خضم مشهد جديد، ووصف الفاء بالفصاحة؛ لكونها لا تقع إلا في كلام بليغ (الزمخشري، 1998، ج1، ص. 174)، والفصاحة تكمن فيما وراء الحذف من إشارات وتلميحات لا يفطن إليها غير البلغاء، ولا يضعها في كلامه موضعها إلا متحدّث بليغ (الخضري، 1414، ص.73)؛ لأنه القادر على استغلال طاقتها التعبيرية ، بحيث تأخذ على عاتقها تأدية الدّلالات المختلفة ما تنوء بحمله كثير من الوحدات اللّسانية الأخرى، فالمتلقّي يجد أن أحداثًا اختزلت وطُويت عن الذكر، فالفاء أعربت عن مُقدَّر قد حُذِف «أي: فوهبناه له ونشأ، فلما بلغ رتبة أن يسعى معه في أشغاله وحوائجه» (الألوسي، 2001، ج12، ص.123).

(لما) الدالة على التسارع في الزمن، نهضت هنا بمعونة (الفاء) بتصوير تلك اللحظة بلوغ إسماعيل –عليه السلام– السعي (جواب الشرط) كأن تلك السنين وقعت في لحظة، فـ (لما) حرف يدل على وقوع شيء لوقوع غيره. فلو جاء الربط بحرف الواو لافتقد المتلقي هذه السرعة، وتلاشى الترابط الوثيق في النظم، فكأن السنين طويت وانقضت سريعًا من لحظة البشارة بالغلام إلى بلوغه السعي، وما هذا إلا دلالة على سرعة استجابة نبي الله المخلص إبراهيم –عليه السلام– لتنفيذ أمر ربه، وهذه إحدى وسائل ربط القلب وشد الأزر، وثبات النفس أن يتمثّل المصاب عظمة الوهاب، وأنَّ من دلائل حبك المُنعم إيثاره على نفسك بالنعمة (حسن، 2020، ص168). وأوحت «الفاء» بهذا إلى أمر عظيم ، يُفهم من هذا الحذف، فمتلقي القرآن إذا وقف على موضع من مواضع الحذف «تضاعفت يقظته إذا كان يقظًا، أو تنبَّه إن كان غافلًا، أو تجدَّد نشاطه إن كان قد فتر نشاطه (أبو شادي، 1992، ص.152) ، ومن جمالية الحذف زيادة اللذة؛ بسبب استنباط للمحذوف، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد وأحسن على ألا يؤدي إلى غموض المعنى (1957، ج3، ص. 150) كما أن الحذف أدى إلى كثافة المعنى التي تجعل المتلقي لا يصل إلى المقصود إلى بعد كدٍّ ومعاناة، وهذا شحن للخطاب بالثراء الدلالي أكثر من لو ذكر المحذوف.

ومن هذا السياق نستشعر عظمة هذا الموقف، فبعد أن ارتوت روح إبراهيم برؤية الابن المنتظر، وحان وقت صحبته ورفقته، فقوله: «(معهُ) فِي موضِعِ الحالِ والتقدِيرُ كائِنًا معهُ، والفائِدةُ فِي اعتِبارِ هذا المعنى أن الأب أرفقُ الناسِ بالولدِ، وغيرُهُ رُبما عنف بِهِ فِي الِاستِسعاءِ فلا يحتمِلُهُ لِأنهُ لم تستحكِم قُوتُهُ»(الرازي، 1420، ج26، ص.346)، واقتران لفظ(معه) مع لفظ (السعي) يوحي بالعمل المشترك والمعاونة والمرافقة والقرب والارتباط النفسي، ومدى ما يقوم به الابن من عمل نافع لوالده، فهو في أشد الحاجة إليه، لكن سرعان ما تأتي اللحظة المفصلية ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾، ويلحظ في أسلوب النداء مدى رحمة إبراهيم –عليه السلام – بابنه وعطفه عليه والرأفة رغم ما يعقبه من أمر الفقد، فالمشهد مشحون بمشاعر متداخلة ما بين مد وجذر، ويبقى الامتثال هو الواقع الفعلي بلا تردد، بل تقودهما الثقة والطمأنينة، وأمام كل ذلك تتلاشى عِظَمُ الموهوب أمام أمر الواهب؛ فلم ينظر الخليل إلى تعلق قلبه بولده، وذكرياته معه، وشوقه إليه، فجعل أمر الله نُصْبَ عَينيه، فانصهرتْ سِنُو عمره، وذهبتْ أَيامُه فَوْرَ مجيء أمره، وصَعِدَتْ ذكرى الغلام مع رؤيا الذبح (حسن، 2020، ص168)، وما ذلك إلا دلالة تعلُّق قلب نبي الله إبراهيم بأمر الله، والحرص على تنفيذه. ويتبادر للمتلقّي أمر مجيء هذا الأمر أو هذا الابتلاء من خلال الرؤية في المنام، حيث اختلفت التفسيرات حول هذا الأمر، وقد برز هذا الِابتِلاءُ فِي صُورةِ الوحيِ المنامِيّ؛ إكرامًا لِإبراهِيم عن أن يُزعج بِالأمرِ بِذبحِ ولدِهِ بِوحيٍ فِي اليقظةِ؛ لِأن رُؤى المنامِ يعقُبُها تعبِيرُها؛ إذ قد تكُونُ مُشتمِلةً على رُمُوزٍ خفِيةٍ، وفِي ذلِك تأنِيسٌ لِنفسِهِ لِتلقِّي هذا التكلِيفِ الشاقِّ عليهِ، وهُو ذبحُ ابنِهِ الوحِيدِ (ابن عاشور، 1984، ج23، ص.151). ويرجع السر في كونه منامًا لا يقظة أن تكون المبادرة إلى الامتثال أدل على

كمال الانقياد والإخلاص والتسليم لأمر الله (الألوسي، 2001، ج12، ص.123). ويلمس المتلقي في هذه الآيات الكريمة المدى الذي وصل له الإيمان في قلب نبي الله وقلب ولده، وفي هذا إشارة فقط من ربّه في منامه وليست وحيًا صريحًا، قادرة على جعل هذا النبي العظيم المخلص أن يستجيب سريعًا دون تردد ودون سؤال واعتراض، فشخصية إبراهيم –عليه السلام– تفوقت على النفس البشرية كافة في هذا الموقف العصيب والابتلاء العظيم.

ويستشعر المتلقي مدى صعوبة الموقف النفسي والصراع الداخلي الذي عاشه النبي –عليه السلام– المخلص الذي انتصر فيه إيمانه، فكان الرضا والاستسلام. وبعدها تتوجّه الأنظار وتتطلّع الأنفس بتلهُّف كيف سيتلقى الابن اليافع هذا الخبر الجلل من أبيه القاضي بإخباره بأمر ربه، وليس أي أمر! كيف سيتلقى الابن الصغير من أبيه الرحيم وهو وحيده، وقد مثلت عبارة ﴿أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ بكل طمأنينة وانقياد، فيأتي الرد: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة الصافات: 102]. الابن الصالح للوالد الصالح يتلقّى بكل طاعة وإذعان فهو يعلم أنه أمر ربّه، وقد حرص نبي الله إبراهيم أن يعرض الأمر على ابنه ويشاوره، وكان بإمكانه أن ينفّذ أمر ربه على غرة من ابنه، لكنه حرص على سؤاله والنظر في الأمر بعين بصيرته، أحب أن يرى ما عنده فإن كان على ما يحب سر وثبته، وإلا سعى في جعله على ما يحب فيلقى البلاء وهو أهون عليه، ويكون ذلك أعظم لأجره لتمام انقياده لأمر ربه (البقاعي، 1995، ج6، ص. 327)، وسماع المتلقي للفظ(الذبح) فيه استحضار للشفقة والرحمة، خاصة إذا كان الذابح هو الوالد الرحيم الشفوق، والمذبوح هو الابن الذي لا حول له ولا قوة، كل ذلك ابتغاء مرضاة الله.

لقد شاهد المتلقي أبًا رحيمًا مشفقًا على ابنه الصغير، كما شاهد ابنًا –كما وصفه ربّ العز والجلال– حليمًا في موقف جليل، هوّن على الأب الرحيم الموقف، مؤكدًا له صبره وثباته، مرغّبًا أباه على سرعة التنفيذ ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾ [سورة الصافات: 102]. هذا التعبير الموجز يحمل الكثير من الدلالات وشمول المعنى، والحزم في الاستجابة فلم تمنع صعوبة الموقف الابن من أن يبتدئ كلامه؛ توقيرًا وتعظيمًا لأبيه، فجاء المنادى مضافًا لياء المتكلم المعوض عنها بالتاء، وحذف الجار والمجرور (به) في قوله: ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تؤمر﴾ [سورة الصافات: 102]، فالحذف يدل على ضيق المقام، وهنا يجد المتلقي نفسه متأثرا ومتابعا لهذا القدر من الامتثال والطاعة التي لا حد لها، فإسماعيل – عليه السلام– يطمئن أباه، إذ المقام يقتضي الوصول مباشرة إلى ما يطمئنه، والفعل المضارع (تؤمر) يفيد الاستمرار وتجدد الامتثال لأبيه في كل وقت، كما يلحظ القارئ الروح الإيجابية المتجسدة في الجواب المباشر، والفعل الإنجازي الدافع لأي تردد في القبول والاستجابة، والتفاؤل ونظرة الأمل الماثلة في ملامح الابن ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، وهذا من الترقي القولي والشعوري في الاستجابة والتسليم التام الذي قلما تجد له نظيرا في دنيا الناس.

ويلاحظ المتلقي أن الابن لم يقل ﴿اذبحني﴾ بل عدل إلى اسم الموصول (ما)؛ وذلك «إيماءً إلى السببِ الذِي جعل جوابهُ امتِثالًا لِذبحِهِ» (ابن عاشور، 1984، ج23، ص.151)؛ لأنه يعلم أن أباه يريد تنفيذ أمر الله، وليس القصد الذبح بحد ذاته، «وتحاشى لفظ الذبح لما فيه من تهييج لمشاعر الأب» (أبو ستيت، 1991، ص.103). ثم يردف كلامه بقطع الوعد لأبيه بقوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ ممتثلًا غير جازع، ولأنه يعلم أن المستقبل بأمر الله قرن وعده بمشيئة الله. وجاء التأكيد في قوله « سَتَجِدُنِي « ليخرج منه المتلقي بصورة الحجة الواثقة التي لا مجال فيها للشك بصبر هذا الابن، ولذلك «قيل ما نعت الله نبياً بالحلم لعزة وجوده غير إبراهيم وابنه عليهما الصلاة والسلام»(البيضاوي، 1418، ج5، ص. 15) وفي قوله: (مِنَ الصَّابِرِينَ) من المبالغة في اتّصافه بالصَّبْر مَا ليس في الوصف بصابر (ابن عاشور، 1984، ج23، ص.152) كلمات إسماعيل هنا رسمت الصورة النفسية التي ظهر فيها الابن اليافع نفسًا مطمئنة صبورة حليمة، حريصًا على تهوين الأمر وتخفيف العبء على أبيه المشفق عليه، المؤمر بذبحه بيديه.

لقد استشعر المتلقِّي الموقف سريعًا في جمل قصيرة متسارعة موجزة، حريصة على تلبية أمر الله، فلا مجال للتأنّي والتهاون، جعلت المتلقي مترقبًا للحظة التنفيذ، وكأنه يشاهد الموقف أمامه، فلقد قام الحوار السابق بنقل الحالة النفسية للأب والابن، حيث نقل للمتلقِّي الكلمات من فم أصحابها، حية، نابضة بالمشاعر الصادقة والأحاسيس الغامرة ، فلا نسمع الكلمات حتى نجد صاحبها معها، ينطق بها محملة بخلجاته، ونبرات صوته، وما انطبع على وجهه من آثار (الخطيب، 1975، ص.130)، ورغم سرعة الجمل، وصعوبة الموقف تسلل للمتلقِّي درس تربوي من خلال هذا الحوار اللطيف بين الأب والابن، ومشاورة إبراهيم لابنه في هذه المهمة الصعبة؛ للوصول لنتيجة مرضية، توصلهما لتنفيذ أمر ربهما، فدلّ هذا المشهد على أهمية الحوار بين الوالدين والأبناء، ومشاورتهم في المواقف التي تهمهم، ودور ذلك في تربيتهم، وبناء عقولهم، وتكوين شخصيتهم، واتصافه بالتحمل والصبر.

وقد حمل هذا الحوار بجمله القصيرة جزءًا كبيراً من هذه القصة، يذهب فيها خيال المتلقي مذاهب شتى، لكنها مشدودة للحدث نفسه، تنطلق منه وتعود إليه، فالحوار في القرآن لا يذكر تفاصيل الحوار كاملة، وهذا من بلاغة الإيجاز، حيث تكون هذه الكلمات القليلة دالة على معانٍ عظيمة، فالحوار القرآني أغلبه يمسك من الموقف الحواري بالعناصر الحية منه، وبالمشاهد البارزة فيه، مما من شأنه أن يجلى الموقف ويحدّد معالمه، ويكشف حقيقته، ثم يكون للناظر بعد ذلك أن يملأ الفراغات ويلونها، بما يسعفه به إدراكه، ويمده به خياله، ويستشعر المعاني القلبية (الخطيب، 1975، ص140).

المبحث الثالث: «الفداء»

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ. وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ. قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ. سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ. كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ. إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ. وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ

نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ. وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِن وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾. [سورة الصافات: 103–113] نقلنا حرف (الفاء) من المشهد السابق (النظري) حوار إبراهيم —عليه السلام– مع ابنه حول الرؤيا وتنفيذ أمر الله، إلى مشهد جديد (عملي) وهو تنفيذ أمر الله، فبعد أن شعر إبراهيم –عليه السلام– باستسلام ابنه بكل رضا وطمأنينة، وشعر معه المتلقي بالراحة والرضا، لكنه في الوقت نفسه يترقّب هل الرضا يستمر والثبات يبقى من إبراهيم وابنه، لينقله العطف التعقيبي من خلال حرف (الفاء) إلى المشهد العملي. وقد قامت (لما) بطبيعتها المتسارعة بمعونة حرف (الفاء) في قوله: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ في تصوير اللحظة العصيبة، استسلام الأب والابن ووقوفهما لتنفيذ الذبح، والمتلقي كأنه يشاهد الموقف، فعيونه تترقب ودقات قلبه تتسارع مع شدّة جذب إبراهيم لابنه ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [سورة الصافات: 103]؛ أي «صرعه على شقه فوقع جبينه على الأرض».

وجسدت لفظة ﴿تَلَّهُۥ﴾ هول الموقف وسرعة التنفيذ، وكأن المتلقي حاضر الموقف ويشاهد، فلفظة ﴿تَلَّهُۥ﴾ والتي أصلها الصرع والدفع بشدة وقوة، والتي مثّلت لنا سرعة استجابة إبراهيم —عليه السلام– ما كان يقوم لفظ آخر مكانها؛ فقد جاء صوت اللفظة مجسدًا المعنى قبل أن توحي بدلالته، فالتاء واللام والهاء ألفاظ تمنع مرور الهواء لالتصاق اللسان باللثة العليا، فأوحت لنا بالشدة والسرعة والتوتر النفسي لدى إبراهيم –عليه السلام–، فالتشكيل الصوتي للفظة ﴿تَلَّهُۥ﴾ أعطى نغمًا خاصًا، حملها أكثر من معنى الصرع بالشدة؛ لتوحي بمعنى التوتر والضغط النفسي في تلك اللحظة، و»من الثابت في مجال الدلالة الإيحائية النفسية للإيقاع الموسيقي للألفاظ، أنها باعتبارها صورًا ذهنية سمعية، تعدُّ من المنبهات الهامة في إثارة الانفعال المناسب في نفس المتلقي، وهي بالإضافة إلى دلالتها المعنوية الخاصة بكل لفظة، ذات دلالة إيحائية تشيع في النفس مناخًا تخييليًا خاصًا يتمشى وحركة النفس وذبذباتها الشعورية، وينسجم مع إيقاعات موسيقاها الداخلية وأنغامها» (ناجي، 1984، ص.53).

والألفاظ تجري من السمع مجرى الصور من البصر، فجرس الكلمة يوحي في نفس المتلقي أن يتخيل صورة الفعل بما يتناسب مع إيقاعه، وتبث في نفسه أثرًا معينًا، فلجرس الكلمة ووقعها على السمع الناتج عن تأليف أصواتها وحروفها وحركاتها دور كبير في إثارة الانفعال المناسب، فيحدث إيحاءً نفسيًا خاصًا لدى مخيلة المتلقي، فتفاعل النفس مع الإيقاع الداخلي للكلمة عن طريق السمع هو أمر نفسي فطري، مرجعه طبيعة الحس، فنطق اللفظة وحروفها يحتاج من المتلقي جهدًا، تتضافر فيه العضلات والأعصاب والأوتار، ويتفاوت هذا الجهد خفة وثقلًا حسب مخارج حروف اللفظة.

وبعد أن وصلت الأحداث إلى ذروتها وتأزّم الموقف، في هذه اللحظة بدأ الانفراج، فجاء النداء المبارك من ربّ العزة والجلال: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾، وهنا يتساءل القارئ: لماذا جاء الربط هذه المرة بالواو دون الفاء التي تكررت في الآيات السابقة، فربطت جواب لما بشرطها؟ ندرك أنه «جيء بها –هنا– دون غيرها من أدوات الربط؛ لما فيها من معنى الجمع، الذي لا يفارقها، فدلَّت على أن الجواب قد وقع مع وقوع الشرط في وقت واحد. ولولا وجود هذا الواو في الكلام، لتمَّ ذبح إبراهيم –عليه السلام– لابنه بعد أن صرعه على جبينه، ولم ينفعه النداء شيئًا (الشحود، د– د، ج1، ص. 153) ومن هنا يلمس المتلقي السر الكامن وراء عدم الربط بالفاء التي بمعنى التعقيب والترتيب، فالبيان القرآني أتى بالواو التي تفيد الجمع، فجمعت نداء الله لإبراهيم ولحظة إلقاء إسماعيل على الأرض، وبهذا لم يتم الذبح. وجواب (لمّا) محذوفٌ؛ إيذانًا بعدم وفاء التَّعبيرِ بتفاصيله كأنَّه قيل كانَ ما كانَ مما لا يحيطُ به نطاقُ البيانِ من استبشارهما وشكرِهما لله تعالَى عَلى ما أنعمَ به عليهما من دفعِ البلاءِ بعد حلولهِ والتَّوفيقِ لما لم يُوفَّقْ أحدٌ لمثله، وإظهارِ فضلهما بذلك على العالمين، مع إحراز الثَّوابِ العظيمِ إلى غيرِ ذلك (العمادي، ب– د، ج7، ص. 201).

فالمتلقي الذي يحضر المشهد ويردد الحوار، ويترقَّب ما سيحدث من خلال السياق والألفاظ التي جسَّدت لنا اللحظة، يجد أن الحذف عبّر عن مدى الفرح والمسرة في تلك اللحظة العصيبة التي جاء فيها النداء من ربّ العزة والجلال لإبراهيم وابنه، فالحذف يجعل المتلقي يتفاعل مع ما يتلقَّى، ويبحث عن المحذوف بنفسه، وحينها يدرك أن ذلك الفرح والابتهاج لا يمكن للألفاظ أن تعبّر عنه، وبناء على قرينة السياق يتخيَّل حال إبراهيم وإسماعيل، وكيف تلقيا النداء ومدى سعادتها، لقد كسبا الثواب العظيم ودُفع عنهما البلاء، فالحذف هنا أدى إلى التوسُّع في الدلالة الإيحائية، وفتح باب التخيّل عند المتلقي على مصراعيه حسب خبرته، وحسب ما يوحي به النظم، وينسجم مع دلالة الكلام، فتقنية الحذف تُحدِث في نفس المتلقي صورًا ومعاني لا يمكن لأي تقنية أخرى أن تقوم به، فإن كل معلوم هيّن؛ لكونه محصورًا (ابن رشيق، 1981، ج1، ص. 151)؛ وذلك لأن الدلالة الإيحائية ستقتصر على الدلالة اللغوية التي تحملها الألفاظ المذكورة، وهذا ما أعطى الخطاب قدرة أكبر على توكيد المعنى المراد نقله، وأوحى بفخامته وعظمته، وأذكى في نفس المتلقِّي مشاعر التعجُّب والإعجاب، وبذلك يكون أقدر على إحداث الاستجابة المطلوبة، فلا يمكن أن يصل هذا التأثير القوي بهذا القدر من الإيجاز لو ذكر.

وقد جاءت (قد) في قوله تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾؛ لأن المتلقي متلهّف لمعرفة ما حصل من تنفيذ أمر الله بالمفدى، فجيء بها مجردة لغرض التشويق (السالم، 2007، ص174)؛ حيث «لا يؤتى بها في شيء إلا إذا كان السامع متشوفًا إلى سماعه، كقولك لمن يتشوّق سماع قدوم زيد: قد قدم زيد، فإن لم يكن، لم يحسن المجيء بها، بل تقول: قدم زيد» (الزركشي، 1957، ج2، ص. 217)، كما أن صيغة (قد) جاءت في سورة الصافات مرة واحدة في هذه الآية الكريمة، فإذا كان التكرار لبعض الأساليب اللغوية ملمحًا أسلوبيًا، فإن في الاقتصار على ذكر الصيغة مرة

واحدة، دلالة على أن هذه الصيغة قد أثقلت بطاقة دلالية مكثفة؛ فقد انفردت الصيغة (قد + فعل) من دون أي إضافة لهما؛ لأن الخطاب في هذه الآية مختلف عن الآيات الأخرى في السورة، فهو خطاب مباشر من الله لسيدنا إبراهيم عليه السلام (السالم، 2007، ص.174)

فالمتلقي استشعر الثناء من الله على نبيه الكريم في قوله: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾، حيث بادر مسرعًا لتنفيذ أمر ربّه كما رأى في الرؤيا، والله ناداه بأن لا يذبح ابنه، وأرسل إليه الكبش فداء، وهذا النسخ ليس تقصيرًا من إبراهيم، وتردد في إيقاع الذبح، بل إنه إكرام من ربّ العزة والجلال، وأن صدقه وإخلاصه لله مثلًا يقتدى به، وقد أشار إليه الله في قوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: ما عمل إبراهيم، كأنه يقول: إنا بهذا النوع من الإخلاص والطاعة نجزي المحسنين (ابن عطية، 1422، ج4، ص. 482) ، والقصة تحمل دلالات عدة من امتحان واختبار وستر معتقد، فيكون البلاء –على هذا المعنى– الاختبار بالشدة، ويحتمل أن يشير ما في القصة من سرور بالفدية وإنقاذ من تلك الشدة «(ابن عطية، 1422، ج4، ص. 482) ، فاسم الإشارة أوحى إلى مقدار هذ الجزاء وعظمة الفضل الذي استحقّه إبراهيم وابنه، وقد قيل: إن إسماعيل –عليه السلام– لما وهبه الله إبراهيم أحبّه حبًا شديد، فتعلّقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل، فأراد تعالى أن يصفي وُدّه ويختبره، فأمره أن يذبح من زاحم حبه حب ربّه، فلما قدّم حب الله، وآثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم، بقي الذبح لا فائدة فيه، فلهذا قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ . وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ أي: صار بدله ذبح من الغنم عظيم، ذبحه إبراهيم، فكان عظيمًا من جهة أنه كان فداء لإسماعيل، ومن جهة أنه من جملة العبادات الجليلة، ومن جهة أنه صار سُنَّة وهي سُنَّة النحر في الأضحى؛ تخليدًا لهذه الحادثة العظيمة (السعدي، 2000، ص.706).

ولا شك أن أسلوب الإشارة السابق شكّل تنبيها للمتلقي ووقعًا نفسيًا عليه، من خلال أثر الأسلوب الذي يوجب التأمُّل والاستيعاب من خلال العظة والاقتداء؛ فقد بلغ إبراهيم وابنه أسمى مراتب الإحسان التي استحقا بها الثناء من الله، فكانت مثلًا للإحسان الصادق الخالص لله، ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: كما أحسن إبراهيم وابنه «نجزي من أحسن في طاعتنا بنجاته من الشدائد وخلاصه من الكربات، سوى ما ينتظرهم من الجزاء الأوفى في الآخرة» (الشريف، 2019، ص.202) يوقن المتلقي من خلال هذا الموقف أنه كلما زاد إيمان المرء عظم بلاؤه، وكلما عظم بلاؤه سما وارتفع جزاؤه عند ربّ العزة والجلال. قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ﴾ يستشعر المتلقي من خلالها عظمة هذ الموقف من الذبيح الذي استحق الثناء عليه من الله، فبعد أن فداه الله بذبح عظيم، أبقى ذكر هذا العمل إلى الأبد، فالله «إذا ذكر الفعل وترك المفعول أراد فخامته وعظمته» (البقاعي، 1995، ج6، ص. 329)، «كما أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين»(الطبري، ب. ت، ج21، ص. 91) ، فقال عنه: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: 54]، وقال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: 85]. ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: 109]. هذا فضل عظيم، وسلام وتكريم من الله لنبي الله إبراهيم –عليه السلام– المخلص الصادق، سلام باقٍ ما تعاقبت الأجيال، فالمتلقي يستشعر تكريم ربّه له، فها هو في كل صلاة يسلّم على إبراهيم؛ لذلك قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ من غير (أن) المؤكدة؛ لأن مكانته وحبه باقٍ متفق عليه، «ولما كانت أهل الملل كلها متفقة على حبّه، وكان كلهم يدّعي اتباعه ورتبة قربه» (البقاعي، 1995، ج6، ص. 330)، فمن يخلص لله في عبادته كما فعل نبي الله يستحق هذه العاقبة من الفرج والثناء من ربّ العزة والجلال.

وجاءت الفاصلة تعقيبًا على القصة «أو قل هي الحقائق المضمرة في ثنايا القصة، والتي تنكشف لبعض الناس ولا تنكشف للكثير منهم، فكان إبرازها على تلك الصورة في أعقاب القصة مما اقتضته حكمة الحكيم العليم... حرصًا على تمام الإفادة مما في القصة من عبر وعظات، ورحمة بمن قصرت أفهامهم عن أن تدرك شيئًا وراء ظاهر القصة، أو أدركت شيئًا وغابت عنها أشياء. إن هذا الأسلوب من البيان ينتظم القرآن الكريم كله، حيث تختم آياته كلها –إلا ما ندر– بالفاصلة، التي هي –كما قلنا– تعقيب على ما تحمل الآية في كيانها من حقائق، وأحداث ومواقف»(الخطيب، 1975، ص.162) ، ونقلت الفاصلة المتلقي إلى العبر والدروس التي يتوجب على المؤمن تأملها واستيعابها؛ فقد مثلت هذه الفاصلة المختزلة لتلك المعاني العظيمة، فشكّلت هنا برقيات التنبيه للمتلقي وحالته النفسية، من خلال وجوب العظة والعبرة، فمن خلال هذه الفاصلة يبرز الأثر الذي يدخل وجدان المتلقي وعقله بلا استئذان فيثير مشاعره، وهنا تكمن الأغراض البلاغية واللطائف التي تكمن وراء هذه الفاصلة الموجزة، فهي لم تأتِ لمجرد التكرار أو التنويع في الأسلوب، بل تأتي متناسبة مع الغرض المقصود منها، بحيث ترتبط بما قبلها فكأنها الخلاصة، حيث جاءت لترسيخ مبدأ الاستسلام لله والإخلاص في العبادة، وهكذا تعد الفاصلة وجهًا من وجوه الإعجاز البياني والنفسي.

الخاتمة

وفي ختام هذه الرحلة مع قصة الفداء، والتي مرّت بثلاثة مشاهد بدءًا بمشهد هجرة نبي الله إبراهيم –عليه السلام–، ثم تتصاعد الأحداث وتنمو إلى أن تصل إلى نقطة التأزم وهنا يأتي مشهد الرؤيا، والذي في نهايته تصل الأحداث إلى ذروتها، ومن ثم يعقبها الحل والانفراج فيأتي مشهد الفداء، وقد سعى البحث إلى استكناه دور البلاغة في رسم الصورة النفسية لدى المتلقي من خلال أنموذج تحليلي «قصة الفداء الواردة في سورة الصافات»، وقد خرج البحث بمجموعة نتائج، ولعل أهمها ما يأتي:

- الخطاب القرآني في قصة الفداء بنى على الانسجام والترابط بين أجزائها.

- بلاغة القرآن سر من الأسرار التي تكمن وراء الأثر الذي يحدثه القرآن في نفوس متلقيه؛ فتعد ملمحًا بارزًا من ملامح إعجاز القرآن المتفردة، وقدرتها التأثيرية من خلال الإمكانات التعبيرية وقيمها الجمالية على مستوى اللفظ والتركيب والصياغة، وهذا ما اتضح في ثنايا قصة الفداء.
- أدى العطف بالفاء–والذي تكرر في القصة عدة مرات– دورًا بارزًا في تصوير الانتقالات السريعة، معبّرة عن سرعة الاستجابة من نبي الله لأمر ربه، فكان أسوة في الاستسلام لله والإخلاص له.
- شكّل الحوار في قصة الفداء محورًا مركزيًا أظهر البعد النفسي للموقف في كلمات موجزة غنية بالمعاني، كشفت للمتلقي شخصية خليل الله وابنه في تلك اللحظة العصيبة، فالجو النفسي الذي سيطر على الحوار جو صبغه الإيمان، والثبات، والتسليم والطاعة.
- كان للآليات البلاغية على مستوى التركيب حضورًا خاصًا في القصة نقلت المتلقي وشدته إلى جوها النفسي؛ كالالتفات، والحذف، والتوكيد، والإيجاز، والوصل.

المراجع:

ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر.

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (1422). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. (تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد). دار الكتب العلمية.

أبو شادي، مصطفى. (1992) الحذف البلاغي في القرآن الكريم. مكتبة القرآن.

الألوسي، محمود بن عبد الله. (2001). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار الكتب العلمية.

الأندلسي، محمد بن يوسف أبو حيان. (2002). البحر المحيط. دار إحياء التراث العربي.

بانقيب، عبد الله. (2002). البلاغة والأثر النفسي دراسة في تراث عبد القاهر الجرجاني. [رسالة ماجستير غي منشورة]، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى مكة المكرمة.

بركة، عبد الغني. (1989). إعجاز القرآن وجوهه وأسراره. مكتبة وهبة للطباعة والنشر.

البقاعي، إبراهيم بن عمر. (1995). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. دار الكتب العلمية.

البيضاوي، ناصر الدين. (1418). أنوار التنزيل وأسرار التأويل. دار أحياء التراث العربي.

الجاحظ، عمرو بن بحر. (1968). البيان والتبيين. دار صعب.

الجرجاني، عبد القاهر. (1991). أسرار البلاغة. (تحقيق: محمود محمد شاكر). مطبعة المدني.

الجرجاني، عبد القاهر. (1992). دلائل الإعجاز. (تحقيق: محمود محمد شاكر). مطبعة المدني.

الجيوسي، عبد الله محمد. (2007). التعبير القرآني والدلالة النفسية. دار الغوثاني للدراسات القرآنية.

حسن، نصر سعيد حسن. (2020). الفاءات في سورة الصافات دراسة في المعنى والسياق والقراءات. *مجلة كلية الدين والأصول بالمنوفية*، 39، 127 ـ 200.

خضير، إسماعيل مخلف، وزيدان، زيدان محمد. (2023). القصة القرآنية ومناسبتها للوحدة الموضوعية في السورة: قصة الفداء في سورة الصافات أنموذجًا. الجامعة العراقية، كلية الآداب 30 (1). 1. 41.

الخضيري، محمد أمين. (1414). من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء، ثم). مكتبة وهبة.

الخطابي، حمد بن محمد. (د. ت). بيان إعجاز القرآن. دار المعارف.

الخطيب، عبد الكريم. (1975). القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف. دار المعرفة.

الخفاجي، شهاب الدين. (1417). حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي. دار صادر.

الدبو، أيسر محمد فاضل. (2013). التأثير البلاغي في تشكيل الصورة النفسية عند المتلقي (قصة السيدة مريم العذراء في سورة مريم أنموذجًا). *مجلة جذور* 34، 309. 359.

ذاكير، كمال. (2021). أسلوب الالتفات في القرآن الكريم بين تشكيل البنية وبناء المعنى. *مجلة الدراسات الأدبية والفكرية* 69، 67-82.

الرازي، محمد بن عمر فخر الدين. (1420). مفاتيح الغيب. دار إحياء التراث العربي.

الرماني، علي بن عيسى. (1976). النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. دار المعارف.

الزركشي، بدر الدين. (1957). البرهان في علوم القرآن. (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم). دار إحياء الكتب.

الزمخشري، محمود بن عمر. (1998). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

مكتبة العبيكان.

الزيات، أحمد حسن. (1967). دفاع عن البلاغة. عالم الكتب.

السالم، عدالة السالم. (2007). سورة الصافات دراسة أسلوبية. [رسالة ماجستير غير منشورة]. كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.

السامرائي، فاضل صالح. (2015). التعبير القرآني. دار ابن كثير.

السعدي، عبد الرحمن. (2000). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مؤسسة الرسالة.

الشحات أبو سبيت. (1991). خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام. مطبعة الأمانة.

الشحود، علي. (د. ت). الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم. الشاملة الذهبية.

الشريف، عبد الله الشريف. (2019). قصة الذبيح تأملات وهدايات». جامعة القاهرة، *مجلة كلية دار العلوم* 36 (120)، 176-224.

الطبري، محمد بن جرير. (د. ت). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. دار التربية والتراث.

العارضي، محمد جعفر. (2016). الدلالة النفسية للألفاظ في الخطاب القرآني منهج في إعجاز التنمية. دار دجلة.

عاشور، توامة. (2015). بلاغة القرآن وأثرها على المتلقي. جامعة بسكرة، *مجلة تحريات* 8، 1-33.

العثيمين، محمد صالح. (2003). تفسير القرآن الكريم. دار الثريا للنشر والتوزيع.

العسكري، أبوهلال. (1980). كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. دار الكتب العلمية.

العمادي، محمد بن محمد. (ب. ت). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. دار إحياء التراث العربي.

القرطاجني، حازم. (1966). منهاج البلغاء وسراج والأدباء. دار الكتب الشرقية.

القيرواني، الحسن بن رشيق. (1981). العمدة في محاسن الشعر وآدابه. (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد). دار الجيل.

القيسي، مكي بن أبي طالب. (1405). مشكل إعراب القرآن. (تحقيق: حاتم صالح الضامن). مؤسسة الرسالة.

مبارك، محمد. (1999). استقبال النص عند العرب. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

المخزومي، مهدي المخزومي. (1980). في النحو العربي نقد وتوجيه. منشورات دار الرائد العربي.

ناجي، مجيد عبد الحميد. (1984). الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

الهاشمي، أيسر. (2016). قراءات في نظرية القراءة والتلقي دراسة في النص القرآني. دار دجلة.

ياوس، هانز روبرت. (2016). جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي. دار كلمة للنشر والتوزيع.

Banqib, Abdullah. (2002). Retorika thaj Psihologikano Impakto: Jekh Studija pal-o Barvalimos le Abdul Qaher Al-Jurjani. (in Arabic) [Na-publicirime Masteresqi Teza], Kolèdʒo vaś i Arabikani Ćhib, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah.

Hassan, Nasr Saeed Hassan. (2020). E lila “fa” ano Surat As-Saffat: Jekh studija vash o smislo, o konteksto thaj o ginavipe. Ćàso e Fakultetosqo vaś i Religìa thaj e Principură vaś o (in Arabic) Islamikano Zakono, Menoufia University, 39, 127-200.

Khader, Ismail Mukhlif, thaj Zidane, Zidane Mohammed. (2023). I Qur’anicko paramiči thaj lako relevantnost ki tematikani jekhipe e sura . (i paramiči e spasipaski ki Sura As-Saffat sar misal) (in Arabic). Universiteto le Irakosko, Koledži le Artosko 30 (1). 141-.

O Urso, Ayser Mohammed Fadel. (2013). O retorikano efekto ano formiribe e recipientosqo psihologikano imàʒo. (in Arabic) (i paramìći pal-i Devlikani Maria anθ-i Surah Maryam sar modelo). Roots Magazine 34, 309359-.

Zakir, Kamal. (2021). O stilo e aluziako ano Sentno Kur›ano maškar o formiribe e strukturako thaj o vazdipe e smislosko. (in Arabic). *Journal of Literary and Intellectual Studies* 69, 6782-.

Pace, Pace Justicia. (2007). Surat As-Saffat: Jekh stilistikani studia. (in Arabic) [Na-publicirime masteresqi tèza]. Fakulteto vaś e Maśkarthemutne Studije, Universitèta ki Jordania.

Sharif, Abdullah Sharif. (2019). I Paramiči pal-o Sakrifiso: Refleksie thaj Ćhivipen.

Cairo University, (in Arabic) Journal of the Faculty of Dar Al-Ulum 36 (120), 176224-.

Ashour, dujto. (2015). I laćhipen e Kur'anesqi thaj lesqo impakto p-o recipiènto (in Arabic).. Univerziteto Biskra, Qiraat Magazine 8, 133-.

Journal of Human Sciences
At Hail University

جامعة حائل
University of Ha'il

Journal of Human Sciences

A Scientific Refereed Journal Published by University of Hail

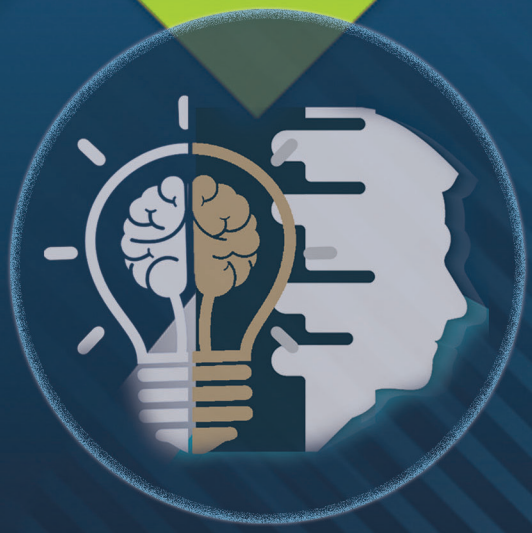

Eighth year, Issue 26
Volume 3, June 2025

Arcif Analytics

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658